التواصل الاجتماعى والبحوث الاجتماعية
منهجية النتنوجرافيا
"الأساليب والإجراءات"

مقدمة

تناولنا فى مقال سابق منهجية النتنوجرافيا Netnography Methodology، من حيث كونها مدخلا للبحوث الكيفية، وبالتحديد لتلك البحوث التى تتناول التواصل الاجتماعى Social Media من خلال مجتمعات الإنترنت وثقافاتها، حيث ألقينا الضوء على البدايات الأولى لنشأة هذه المنهجية، والتى أرجعناها إلى[١]:

أولًا: ما ترتب على ظهور الجيل الثانى للشبكة العالمية (Web 2.0)[٢]، وشبكاتها ومنصاتها ومواقعها الاجتماعية، من انبثاق وظهور وتجسيد وانتشار نمط جديد من المجتمعات، والتى أطلق عليها فى البداية المجتمعات الافتراضية، ثم لم يلبث أن استبدل مصطلح "المجتمع الافتراضى" Virtual Community بمصطلح مجتمع الإنترنت Internet Community، ثم أصبح مصطلح Online Community هو المصطلح الشائع استخدامه فى الكتابات العلمية، لمزيد من التحديد لخصائص مجتمع الإنترنت الذى تختص النتنوجرافيا بدراسته[٣].

ثانيًا: إدراك عدد من العلماء والباحثين أنهم أصبحوا إزاء بدء تشكل ظاهرة اجتماعية حديثة ومتفردة، نشأت نتيجة للتواصل الاجتماعى من خلال الاتصالات التى يتوسطها الحاسب الآلى(Computer Mediated Communication (CMC أو الشبكات الإلكترونية بعامة، [٤] سيكون لها أثرها وتأثيرها على الحياة الاجتماعية، على الحياة الحقيقية Real Life (RL)، سواء على مستوى الفرد

أو على مستوى المجتمع، وسيكون لها القدرة على تغيير الواقع والمجتمع، بمختلف أبعادهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأن هذه الظاهرة لن تغير العالم فحسب، وإنما ستغير أيضًا الطريقة التى يتغير بها العالم(٥).

من هذا المنطلق، وإذ أدرك هؤلاء العلماء والباحثون، أنه لا بد من المبادرة ببحث هذه الظاهرة، أدركوا فى الوقت ذاته، أنه نظرًا لاختلاف هذه الظاهرة الحديثة عن غيرها من الظواهر الاجتماعية التى درجوا على دراستها فى العالم الحقيقى Real World، إذ توجد وتتواجد فى "العالم الافتراضى Virtual World"، فإنه لا بد من إبداع المنهجيات الملائمة لدراستها، أو على الأقل تطويع المنهجيات التقليدية لتصبح ملائمة وصالحة لذلك.

وقد توجت جهود هؤلاء العلماء والباحثين، من خلال كتاباتهم النظرية وبحوثهم الميدانية – منذ أواخر القرن العشرين، وخلال فترة التسعينيات تحديدًا– بالتوصل إلى ابتكار منهجية النتنوجرافيا باعتبارها المنهجية الملائمة، والأكثر صلاحية، لدراسة مجتمعات الإنترنت، وعمليات التواصل الاجتماعى بين أعضائها، وبين بعضها البعض، من منظور ثقافى، مسترشدين فى ذلك بمنهجية الإثنوجرافيا Ethnography، وتطبيقاتها فى الأنثربولوچيا الثقافية بالتحديد، فى اشتقاق الكثير من تقاليدها وأساليبها وإجراءاتها وممارساتها المنهجية، بعد تطويعها بما يلائم فضائيات التواصل الاجتماعى Social Media Spaces بعامة، ومجتمعات الإنترنت وثقافاتها فى سياقات وجودها وتجسدها فى العالم الافتراضى بخاصة(٦).

إذا كنا قد أوضحنا فى الورقة العلمية السابقة، البدايات الأولى لنشأة منهجية النتنوجرافيا، فإن الورقة العلمية الحالية تخطو الخطوة التالية لذلك، بتناولها للأساليب والإجراءات المنهجية للنتنوجرافيا؛ فتبدأ بتناول الرؤى المتنوعة بالنسبة لتحديد جوهر هذه المنهجية، متمثلة فى اختيار الأسلوب المنهجى الأساسى الذى تقوم عليه منهجية

النتنوجرافيا، والمحدد لأنماط بحوثها، ثم تنتقل إلى عرض الخطوات المنهجية التى على البحث النتنوجرافى أن يلتزم باتباعها، لتحقيق قيمته العلمية ووضعه فى منظومة البحوث الكيفية من جهة، وليكتسب صفته وأحقيته فى أن يوصف بأنه بحث نتنوجرافى من جهة أخرى، تمييزًا له عن البحوث الاجتماعية الأخرى، الكمية والكيفية، التى تتناول التعامل أو التفاعل مع الإنترنت وفضائيات التواصل الاجتماعى بعامة، معتمدة فى ذلك على المنهجيات والأساليب المنهجية التقليدية للبحوث الاجتماعية. ثم تنتهى هذه الورقة بإلقاء الضوء على إمكانات وحدود منهجية النتنوجرافيا، كمنهجية حديثة نسبيًا، لا تزال قابلة للتطور والارتقاء، لتحقيق المزيد من الاستبصارات الثقافية والفهم لظاهرة التواصل الاجتماعى فى فضائيات التواصل الاجتماعى بعامة، ولتجسدها فى مجتمعات الإنترنت وثقافاتها بخاصة.

أولاً: النتنوجرافيا وأساليبها المنهجية

يتبين من الاطلاع على البحوث النتنوجرافية التى تتناول ظاهرة التواصل الاجتماعى كما تحدث على الإنترنت، وتنطلق فى دراستها من بحث مجتمعات الإنترنت وثقافات الإنترنت، وفضائيات التواصل الاجتماعى بعامة، أن الأساليب المنهجية للبحث التى تتبعها هذه البحوث، تعكس اختلافًا فى رؤية جوهر منهجية البحث النتنوجرافى؛ من حيث ما إذا كانت هذه المنهجية تقوم أساسًا على أسلوب الملاحظة بالمشاركة Participant Observation، أم أنها تقتصر فقط على أسلوب الملاحظة دون مشاركة من جانب الباحث فى المجتمع محل دراسته، أى على أسلوب الملاحظة المحضة Pure Observation.

فرغم مرور ما يزيد على العشرين عامًا على بداية طرح النتنوجرافيا كمنهجية لدراسة المجتمعات الافتراضية(٧)، وعلى اتخاذ مجتمعات الإنترنت وثقافات الإنترنت مرتكزًا أساسيًا فى بحوثها عن التواصل الاجتماعى، إلا أن جوهر منهجية النتنوجرافيا لا يزال محلاً للخلاف بين العديد من العلماء والباحثين فى هذا المجال.

يتجسد هذا الخلاف الجوهرى فيما يطلق عليه النتنوجرافيا التى تقوم على الملاحظة Observational Netnography، أو توصف بأنها نتنوجرافيا سلبية Passive Netnography، فى مقابل النتنوجرافيا التى تقوم على الملاحظة بالمشاركة Participatory Netnography، والتى توصف بأنها نتنوجرافيا نشطة أو إيجابية أو فاعلة[٨] Active Netnography، الفرق الأساسى الذى يميز بين نمطى النتنوجرافيا، هو أن الأولى تكتفى فى جمع بياناتها بالاعتماد على أسلوب الملاحظة فقط، فهى إذ تبحث فى ظاهرة التواصل الاجتماعى، وفى عمليات التواصل الاجتماعى التى تجرى بين أعضاء مجتمع الإنترنت، وفى فضائيات التواصل الاجتماعى سواء عن طريق المناقشات أو الحوارات، أو عن طريق الرسائل أو المدونات أو غيرها من أساليب التواصل الاجتماعى المقروءة، أو المسموعة، أو المرئية، أو المسموعة والمرئية معًا، تعتمد فى جمع بياناتها الميدانية على أسلوب الملاحظة فقط، دون مشاركة من جانب الباحث مع أعضاء مجتمع الإنترنت فى هذه الحوارات أو المناقشات، أو فى غيرها من أساليب وصور التواصل الاجتماعى الأخرى، بل ويحدث هذا دون معرفة من جانب أعضاء هذا المجتمع بأنهم خاضعون لملاحظة الباحث، ومن هنا يشبه دور الباحث فى هذه الحالة بدور المتلصص Lurker، وتصبح الملاحظة هنا لها خاصية اختلاس النظر أو التلصص Voyeuristic Quality، فالباحث هنا يتسلل إلى مجتمع الإنترنت، ويقوم بالتلصص على ما يدور به، دون علم أو دراية من جانب أعضاء هذا المجتمع[٩].

ويشبه البعض أسلوب الملاحظة هذا بأسلوب تحليل المضمون أو المحتوى، رغم الاختلاف الجوهرى بينهما، حيث إن النتنوجرافيا التى تعتمد على أسلوب الملاحظة فقط، تتعامل مع التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت ليس كمجرد "محتوى"، وإنما كتفاعل اجتماعى وكتعبير لمعانى مضمرة، وكمنتج ثقافى، ومن هنا فإن بؤرة اهتمامها هى الوصول إلى الاستبصارات الثقافية[١٠]. ومن ثم فإن البعض يصف

تحليل المضمون بأنه تحليل مضمون غير مشارك Unengaged Content Analysis، ويعتبر البعض الآخر أنه من غير الدقة وضعه والنتنوجرافيا على المستوى نفسه [١١].

ويذهب أنصار النتنوجرافيا التى تعتمد على أسلوب الملاحظة أسلوبًا لجمع بياناتها إلى الإعلاء من قيمتها العلمية، إذ يتم التأكيد فى وصف النتنوجرافيا فى هذه الحالة بأنها "طبيعية" ، "وغير متحيزة" حيث تلاحظ مجتمع الإنترنت، والسلوك التلقائى والمعتاد لأعضائه، وعمليات التواصل الاجتماعى بينهم فى أحوالها الطبيعية، وتستبعد تمامًا تأثير وجود الباحث على مجريات ومضمون المناقشات والحوارات والتفاعلات... وعلى عمليات التواصل الاجتماعى بعامة، وهو وضع لا يتحقق فى حالة استخدام الكثير من أساليب البحث الكمية والكيفية الأخرى، والتى يأتى فى مقدمتها أسلوب الملاحظة بالمشاركة[١٢].

من هذا المنطلق، يعدد أنصار اعتماد النتنوجرافيا على الملاحظة دون المشاركة، الميزات التى تنتج عن اتباع هذا الأسلوب؛ بدءًا من الدراسة الموضوعية، غير المتحيزة، والمتميزة بالمصداقية أو هى بالأحرى محل ثقة فيها، مرورًا بقدرة هذا النمط من النتنوجرافيا وتفرده بإمكانية دراسة الموضوعات والقضايا ذات الحساسية الشخصية أو السياسية، أو الاجتماعية، أو القانونية، أو الأخلاقية، وتلك الموضوعات والقضايا الخاصة بالفئات المهمشة، أو المنبوذة اجتماعيًا، أو المجرمة قانونيًا – إذ تناقش هذه الموضوعات والقضايا بين أعضاء مجتمع الإنترنت دون خشية من جانبهم، حيث يكون هناك حرص على إخفاء هوية أعضائه، وعدم الكشف عنها – وانتهاءً بتميز هذا النمط من النتنوجرافيا بالسهولة والسرعة فى إجراء البحث وإنجازه، فضلًا عن محدودية الجهد العلمى الذى يبذله الباحث، وانخفاض أو انعدام التكلفة المالية التى يتكبدها[١٣].

ومع تزايد وتكاثر البحوث التى تتناول مجتمعات الإنترنت فى دراسة التواصل الاجتماعى، والتى تعتمد تمامًا على أسلوب الملاحظة باعتبار أنه هو أسلوب البحث النتنوجرافى، بدأ يظهر فى هذا المجال العلمى اتجاه علمى قوى يطرح ويروج لنمط النتنوجرافيا التى تعتمد فى منهجيتها أساسًا على أسلوب الملاحظة بالمشاركة، فالنتنوجرافيا تؤسس منهجيتها على البحث الميدانى الذى يجرى عبر الإنترنت من خلال الملاحظة بالمشاركة[١٤]. ومن ثم يستبعد أنصار هذا الاتجاه الادعاءات بوصف البحوث التى تعتمد على أسلوب الملاحظة، بأنها بحوث نتنوجرافية. وقد وصل الأمر بالبعض منهم إلى إدراجها تحت نمط "البحث الأرشيفى Archival Research"، فهى أقرب إلى هذا النمط من البحوث منها إلى البحوث النتنوجرافية، وذهب البعض الآخر إلى اعتبارها بمثابة البحث الاستقصائى عبر الإنترنت Investigative Research on the Internet (IRI) [١٥]، وذهب البعض الأخير إلى أن هذه البحوث التى تقتصر على أسلوب الملاحظة، وإن كانت تشبه البحوث النتنوجرافية فى جانب من منهجيتها إلا أنها ليست مطابقة لها، ويرجع ذلك إلى أن كلاً منهما يستخدم أسلوب الملاحظة، إلا أن الأولى تعتمد عليه تمامًا باعتباره الأسلوب المنهجى الأساسى الذى تعتمد عليه كلية فى جمع بياناتها من خلال الإنترنت، فى حين أن الثانية تعتبر أسلوب الملاحظة أسلوبًا تمهيديًا لأسلوبها المنهجى الأساسى وهو أسلوب الملاحظة بالمشاركة .

وفى مقابل تأكيد أنصار النتنوجرافيا التى تقتصر على أسلوب الملاحظة أسلوبًا لجمع بياناتها، الميزات الجمة الناجمة عن استبعاد تأثير وجود الباحث ومشاركته وتوجيه أسئلته على مجريات ومضمون عمليات التواصل الاجتماعى، نجد أن العلماء والباحثين الداعمين للأخذ بنمط النتنوجرافيا التى تقوم أساسًا على مشاركة الباحث واندماجه وتعمقه وانغماسه تمامًا فى مجتمع البحث وتمثله لثقافته، وتعتبر أن أسلوب الملاحظة بالمشاركة هو لب البحث النتنوجرافى، وأساس اكتساب صفته بأنه بحث

نتنوجرافى، يعلى من شأن وأهمية دور الباحث كملاحظ بالمشاركة، على أساس أن هذه المشاركة هى التى تحقق ما يطلق عليه الصرامة أو الدقة الكيفية Qualitative Rigor التى هى جوهر البحوث الكيفية[١٦]؛ إذ تكمن فعالية المنهجيات الكيفية فى أهمية التواجد الإنسانى للباحث، والاتصال والتواصل الشخصى له مع أعضاء المجتمع، والمشاركة والاندماج والانغماس فى هذا المجتمع، وتفهم وتمثل ثقافته، بحيث يكتسب الباحث المعرفة والخبرة التى تولد لديه الشعور بأنه أصبح كأحد أعضاء هذا المجتمع، وهو الأمر الذى دعا البعض إلى استخدام مصطلح الخبرة بالمشاركة Participant Experience بدلًا من مصطلح الملاحظة بالمشاركة Participant Observation[١٧].

بناءً على ما تقدم، فإنه يمكن اعتبار أن البحوث النتنوجرافية تقع على متصل، يمثل أحد قطبيه البحوث النتنوجرافية التى تعتمد فى جمع بياناتها على أسلوب الملاحظة المحضة، ويمثل القطب الثانى البحوث النتنوجرافية التى تعتمد فى جمع بياناتها على أسلوب الملاحظة بالمشاركة، والتى يصل فيها مستوى مشاركة الباحث إلى أن يصبح عضوًا فى المجتمع محل دراسته. وبين هذين القطبين تقع أنماط البحوث النتنوجرافية كافة، وفقًا لدرجة اقترابها من هذين القطبين أو ابتعادها عنهما، أى وفقًا لمدى درجة اندماج وانغماس الباحث فى المجتمع محل دراسته؛ من باحث يوصف دوره بأنه دور الملاحظ السلبى، إلى باحث يوصف دوره بأنه باحث فعال، بل ومضيف إلى المجتمع والثقافة محل دراسته، مع كل ما يرتبط بهذين الدورين من قضايا علمية وأخلاقية.

ثانياً: النتنوجرافيا وخطواتها المنهجية

بناءً على التوجه الحديث فى بحوث التواصل الاجتماعى، والذى يتخذ من النتنوجرافيا منهجية لها، ومن أسلوب الملاحظة بالمشاركة الأسلوب الأساسى لهذه المنهجية، وتجنبًا للبس السائد فى تحديد هوية البحث النتنوجرافى فى صورته المكتملة، وتمييزًا له

عن أنماط البحوث الاجتماعية الأخرى التى تتناول الإنترنت والتعامل معه، كان لا بد من تحديد الخطوات المنهجية التى يتبعها الباحث فى إجراء بحثه النتنوجرافى.

لا شك أن تناول الخطوات المنهجية للبحث النتنوجرافى، بجانب تحديده لهوية النتنوجرافيا وثوابتها كمنهجية علمية للبحوث الاجتماعية الكيفية، التى تتناول مجتمعات الإنترنت بخاصة، وفضائيات التواصل الاجتماعى بعامة، فهو من شأنه أن يعزز وجودها وانتشارها كمنهجية مستقرة، ويكسبها شرعيتها.

لم يكن مثيرًا للدهشة، أن يأتى تحديد الخطوات المنهجية للبحث النتنوجرافى من جانب أحد الباحثين الذى يرجع إليه الفضل فى طرح مصطلح النتنوجرافيا، والترويج له، وتأكيد اتخاذ أسلوب الملاحظة بالمشاركة أساسًا لمنهجية البحث النتنوجرافى، هذا الباحث هو روبرت كوزينتس Robert V. Kozinets، الذى يعد أول من حدد الخطوات المنهجية للنتنوجرافيا، وأسهب فى وصف كل خطوة من هذه الخطوات، موضحًا ثوابتها المنهجية، والمحاذير والعقبات التى تعترض كل منها، بحيث أصبحت كتاباته فى هذا الشأن بمثابة "الدليل" للباحثين الذين يجرون بحوثهم عن التواصل الاجتماعى، أو عن مجتمعات الإنترنت وثقافات الإنترنت بالتحديد.

حدد كوزينتس الخطوات المنهجية للبحث النتنوجرافى فى ست خطوات متداخلة، وتسلم كل منها للأخرى، وهى؛ التخطيط للبحث، الدخول Entrée أى الدخول لمجتمع البحث، جمع البيانات، التأويل أو التفسير، ضمان توافر المعايير الأخلاقية، وأخيرًا مرحلة عرض البيانات أو إعداد تقرير البحث(١٨).

نكتفى هنا بإيجاز لبعض من أهم النقاط المتعلقة بمنهجية النتنوجرافيا فى اتباعها لكل خطوة من هذه الخطوات، والتى من شأنها أن تضفى على هذه المنهجية صفة العلمية والدقة معًا.

أول خطوة هى التخطيط للبحث؛ وتشمل هذه الخطوة تحديد الباحث لموضوع البحث وللأسئلة الرئيسية والفرعية التى يطرحها، بناءً على ذلك يبدأ الباحث فى

اختيار وتحديد الموقع أو المواقع التى تدخل فى نطاق بحثه، وبالتحديد تلك التى من شأنها الإجابة عن التساؤلات التى يطرحها البحث.

فى هذه المرحلة يتعرف الباحث على الأشكال المختلفة والمتنوعة لهذه المواقع، والتى من شأنها أن تؤثر فى أنماط وصور أبنية عمليات التواصل الاجتماعى، وبالتالى فى طبيعة البيانات التى سيقوم بجمعها والأسلوب المنهجى الذى سيعتمد عليه فى ذلك(١٩).

وعلى الباحث فى اختياره لموقع أو لمواقع بحثه أن يفضل؛ المواقع التى تضم عددًا كافيًا من المجتمعات والثقافات المتعلقة بموضوع بحثه، وبالأسئلة الرئيسية والفرعية التى يطرحها، والمواقع التى تتميز بحركة نشطة ومكثفة من المدونات، أو الحوارات، أو المناقشات... وما إليها من صور وأشكال التواصل الاجتماعى، فضلًا عن توافر عدد أكبر من الرسائل المتفردة والمتنوعة والمختلفة الرؤى للمدونين أو للمشاركين فيها، والتى بها بيانات أكثر ثراءً وتفصيلًا، والمواقع الأكثر عددًا وتنوعًا من الأعضاء، وكلما كان الباحث أكثر تحديدًا لموضوع بحثه، وللأسئلة التى يطرحها، كان أكثر توفيقًا فى اختيار الموقع أو المواقع ومجتمعات الإنترنت التى سيجمع بياناته منها(٢٠).

الخطوة الثانية من خطوات البحث النتنوجرافى، هى الدخول للمجتمع محل البحث، والذى يوصف بالدخول الثقافى Cultural Entrée للمجتمع(٢١). ويستلزم دخول الباحث للمجتمع محل بحثه خطوتين؛ الأولى هى الخطوة السابقة، التى تقوم على التحديد الدقيق لأسئلة البحث، وتحديد المواقع ومجتمعات الإنترنت التى من شأنها إتاحة الإجابة عن هذه الأسئلة، والخطوة الثانية هى معرفة كل ما يتعلق بهذه المواقع أو بهذه المجتمعات التى تم اختيارها، وهنا يعتمد الباحث على أسلوب الملاحظة فى جمع بياناته التى تشكل ما يعرف بخلفية البحث أو بالبحث الخلفى Background Research، التى توصف بأنها الخطوط الأساسية الثقافية Cultural

Baselines للبحث، والتى تتضمن بجانب نوع البيانات الاجتماعية التى يتيحها الموقع – ومن ثم توجه الباحث نحو أسلوب أو أساليب جمعها وتجهيزها– فهى أيضا تمد الباحث ببيانات كافية عن الموقع، وعن المشاركين فيه، وعن الآليات الاجتماعية التى يسير وفقًا لها. فضلًا عن ذلك فهى توضح له كل ما يتعلق بالموقع وبأبنيته الاجتماعية، وقواعد التعامل وطرق وأساليب التخاطب أو التواصل فيه بعامة، فضلًا عن كل ما يتيحه أسلوب الملاحظة من بيانات بشأن الهويات والطقوس والتقاليد وكل ما من شأنه أن يجعل الباحث على ألفة بخصائص مجتمعات الإنترنت هذه وبمواقعها، مما يسهل عملية الدخول الثقافى الناجح لبيئة التواصل الاجتماعى. جميع هذه البيانات بيانات أرشيفية يحصل عليها الباحث عن طريق شبكة الإنترنت[٢٢].

ولا شك أن مرحلة الدخول لمجتمع البحث والإعداد لها، تعد على جانب كبير من الأهمية، فدون الدخول للمجتمع، وتحقيق قبول وتعاون أعضاء المجتمع، تصبح عملية جمع البيانات عملية مستحيلة تمامًا[٢٣].

متى نجح الباحث فى دخول مجتمع البحث، تبدأ المرحلة المنهجية الأساسية فى البحث النتنوجرافى، وهى الخاصة بجمع البيانات الميدانية باستخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة، وهى مرحلة تختلف تمامًا عن مرحلة جمع البيانات عبر الإنترنت باستخدام أسلوب الملاحظة، والتى شكلت خلفية للبحث، فدور الباحث هنا يكون دورًا معلنًا ومعروفًا لأعضاء المجتمع، بل دورًا إيجابيًا، وهو دور المشارك فى هذا المجتمع، وفى بعض الأحيان ينضم الباحث إلى مجتمع دراستــه كعضو فيه، قبل أن يبدأ حتى فى استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة فى جمع بياناته[٢٤].

لعل النقطة المنهجية الجوهرية فى هذه المرحلة من مراحل البحث النتنوجرافى هى تأكيد أمرين أساسيين: الأول هو أنه عندما يجمع الباحث بياناته، أو يدون ملاحظاته الناجمة عن مشاركته فى المجتمع أو ملاحظته له، فعليه مراعاة تسجيل الوقت الفعلى لحدوث الحدث والسياق الثقافى لحدوثه، الأمر الثانى: هو أن يعى

الباحث تمامًا أن فهم وتفسير الحدث، لا يعبر عن فهم الباحث أو تفسيره له، وإنما هو فهم أعضاء المجتمع وتفسيرهم له. وهذه نقطة بالغة الأهمية، على الباحث أن يراعيها، سواء فى مرحلة تسجيل أو جمع البيانات، أو فى مرحلة تحليل البيانات وتفسيرها، أو فى مرحلة إعداد تقرير البحث، إذ يتم تنبيه الباحث صراحة لمراعاة ذلك "لا تفترض أبدًا أنك تعرف أكثر من معرفة المجتمع بثقافته"[٢٥].

ومتى انتقل الباحث النتنوجرافى من مرحلة جمع البيانات إلى مرحلة تحليل البيانات، وهى تمثل الخطوة الرابعة من الخطوات التى حددها كوزينتس للبحث النتنوجرافى، يصبح متوافرًا لديه ثلاثة أنواع من البيانات[٢٦]:

النوع الأول من البيانات: هى البيانات المسجلة أو البيانات الأرشيفية Archival Data، والتى يحصل عليها الباحث مباشرة من شبكة الإنترنت، ولا يكون له أى دور فى وجودها أو فى إنتاجها، إذ يقتصر دور الباحث هنا على دور الملاحظ دون دور المشارك، ومن هنا تعرف هذه البيانات أيضًا بأنها بيانات تم الحصول عليها بالملاحظة Observational Data[٢٧].

النوع الثانى من البيانات: هى البيانات المستخرجة Elicited Data، وهى البيانات التى يحصل عليها الباحث نتيجة لعمليات التواصل الاجتماعى، أو التفاعل الاجتماعى بين الباحث وأعضاء المجتمع، سواء استخدم فى ذلك أسلوب الاستبار عبر البريد الإلكترونى أو الاستبار السمعى المرئى Audiovisual Interview، أو غير ذلك من أساليب التواصل الاجتماعى النصى عبر الإنترنت. ومتى نجح الباحث فى إقامة علاقة وثيقة مع أعضاء المجتمع الذين يقوم باستبارهم، أى المستبرين Interviewees، فإنه يمكنه الحصول على المزيد من هذا النوع من البيانات، التى هى نتاج للتفاعل المتبادل بين الباحث وأعضاء مجتمع التواصل الاجتماعى، عن طريق الاستبار السمعى البصرى الذى يتيح له ميزات الاستبار وجها

لوجه، بما فى ذلك تلك الخاصة بدلالات لغة الجسد، ونبرة الصوت وحدته، الأمر غير المتاح فى اتباع أساليب الاستبار النصية عبر الإنترنت[٢٨].

النوع الثالث من البيانات: هى البيانات المستخلصة من تدوينات الباحث عن ملاحظاته الميدانية Field Notes Data، والتى تتضمن ما يدونه الباحث من ردود أفعاله وانطباعاته وتأملاته بشأن ما يلاحظه فى الميدان يومًا بيوم. هذا النوع من البيانات له أهميته بحيث يعتبره البعض أهم إسهام للنتنوجرافيا، ومن هنا يوصى الباحث النتنوجرافى بتسجيل هذا النوع من البيانات منذ بداية اختياره لموضوع بحثه، حتى آخر مرحلة فيه؛ المتمثلة فى عرض تقرير البحث، وما يتضمنه من معلومات ونتائج، على أعضاء المجتمع محل دراسته، وحصوله على استجاباتهم وردود أفعالهم[٢٩].

ومتى انتهى الباحث من جمع البيانات الميدانية بمختلف أنواعها، ينتقل إلى خطوة أخرى، أو إلى مرحلة تحليل البيانات وتأويلها أو تفسيرها. النقطة المنهجية الجوهرية فى هذه المرحلة والتى تؤكد الصفة العلمية لمنهجية النتنوجرافيا، هى أن تستند جميع تحليلات الباحث وتفسيراته إلى البيانات التى قام بجمعها بأنواعها المختلفة، وأساسًا لا بد من أن يحلل الباحث البيانات فى سياقاتها، علمًا بأن وحدة التحليل النهائية ليست هى "الشخص" بل "الفعل الاجتماعى"، وفى هذا تعبر النتنوجرافيا عن تحول راديكالى من الإثنوجرافيا التى تقوم على ملاحظة الناس وسلوكهم، إلى النتنوجرافيا التى تقوم على ملاحظة الأفعال النقاشية Conversational Acts ووضعها فى سياقها[٣٠].

فإذا انتقلنا إلى المرحلة الأخيرة من مراحل البحث النتنوجرافى، وهى مرحلة إعداد تقرير البحث وعرضه. نجد أن أهم خطوة منهجية يتميز بها البحث فى هذه المرحلة، هى عرض الباحث لنتائج البحث على أعضاء المجتمع محل بحثه، والذين يحرص البحث النتنوجرافى على أن يسميهم بالمشاركين Participants[٣١]، وهى

خطوة منهجية على جانب عظيم من الأهمية، إذ يعتمد عليها فى التأكد من مصداقية البحث، ومن سلامة وصحة تأويلاته وتفسيراته، وما تضمنه من بيانات ومعلومات ونتائج عامة، وأن وجهات نظر المجتمع قد انعكست على تأويل النتائج وتفسيرها، وهو ما يعزز الجانب الأخلاقى فى البحث، ومن هذا المنطلق يرى بعض العلماء والباحثين أن يعرض الباحث إطار بحثه منذ البداية على أعضاء المجتمع محل دراسته، إذ يساعد ذلك على كسب ثقتهم، فضلًا عما يعود بالنفع على رؤيته وتصوراته بشأن أبعاد بحثه، هذه الخطوة المنهجية المهمة لا تتحقق بالطبع فى حالة اقتصار النتنوجرافيا على أسلوب الملاحظة دون المشاركة(٣٢).

إذا كان كوزينتس فى تحديده للخطوات المنهجية الست للبحث النتنوجرافى، قد اعتبر ضرورة مراعاة توافر المبادئ والمعايير الأخلاقية فى البحث النتنوجرافى هى الخطوة الخامسة وقبل الأخيرة الخاصة بعرض تقرير البحث على أعضاء المجتمع، إلا أنه يجب ألا يغيب عنا أمران: الأول أن المعايير والمبادئ والقواعد الأخلاقية للبحث العلمى الاجتماعى بعامة، هى بمثابة الخيط المتصل الذى يمتد عبر جميع المراحل المنهجية للبحث ويربط بينها، الأمر الثانى أن لطبيعة مجتمعات الإنترنت، ولطبيعة أبنيتها وثقافاتها، أثرها وتأثيرها على تحديد خصوصية ومضمون هذه المعايير والقواعد والمبادئ الأخلاقية، ومدى حتمية الالتزام بها تجاه هذه المجتمعات وأعضائها.

ولعل النقطة المنهجية الجوهرية بشأن أخلاقيات البحث النتنوجرافى، هو ما يثيره تنوع مواقع مجتمعات الإنترنت من حيث صفة العمومية أو الخصوصية، أو الجمع بين هاتين الصفتين معًا، من قضايا أخلاقية، تأتى فى مقدمتها القاعدة الأخلاقية التى تعرف بالموافقة المستندة إلى المعرفة Informed Consent، حيث يوافق مجتمع الإنترنت للباحث على إجراء بحثه، أو يسمح له بإجرائه، بناء على معرفته بالغرض من إجرائه أساسًا، وما إلى ذلك من معلومات خاصة بالبحث. هذه

القاعدة وغيرها من القواعد الأخلاقية الخاصة ببحوث التواصل الاجتماعى، يختلف بشأنها الباحثون الذين يقصرون بحوثهم النتنوجرافية على الاعتماد على أسلوب الملاحظة، والباحثون الذين يعتبرون أسلوب الملاحظة بالمشاركة هو جوهر البحث النتنوجرافى، ودون الاعتماد عليه لا يحق وصفه بأنه بحث نتنوجرافى، أو ادعاء أنه يستخدم منهجية النتنوجرافيا(٣٣).

هذه الخطوات المنهجية للبحث النتنوجرافى والتى طرحها كوزينتس، توضح تمامًا أن النتنوجرافيا، من منظور منظومة مناهج البحث العلمى الاجتماعى، هى مدخل منهجى Methodological Approach لدراسة مجتمعات الإنترنت وثقافاتها، أى دراسة الكيانات الاجتماعية التى تنشأ على الإنترنت، وتقوم على التواصل الاجتماعى المستمر نسبيًا بين المشاركين فيها أو أعضائها، الأمر الذى ينتج، أو ينبثق عنه، ثقافة خاصة بها(٣٤).

يتبين أيضًا من هذه الخطوات المنهجية أن مصدر بيانات المدخل النتنوجرافى هو الإنترنت؛ من خلال الشاشات والمنصات والمواقع الاجتماعية، مستخدمًا فى ذلك أسلوب الملاحظة بالمشاركة- والذى يمهد له أسلوب الملاحظة-باعتباره الأسلوب الأساسى له، والذى به يكتمل المدخل النتنوجرافى، ويحصل البحث على صفته كبحث نتنوجرافى. فى الوقت ذاته، ففى إمكانية المدخل النتنوجرافى أن يستعين فى جمع بياناته من خلال الإنترنت، بأساليب بحث أخرى مضيفة لأسلوب الملاحظة بالمشاركة، فالباحث النتنوجرافى يمكن أن يجرى مسحًا اجتماعيًا، وأن يستخدم أسلوب الاستبار الحر أو المقيد، وأيضًا أسلوب المناقشة الجماعية، وغير ذلك من أساليب البحث التى تصلح أو تطوع لجمع البيانات من خلال الإنترنت، والتى تظل أساليب بحث مضيفة، أو معززة، لأسلوب الملاحظة بالمشاركة الذى هو جوهر المدخل النتنوجرافى(٣٥).

نخلص من ذلك إلى أن ما يميز النتنوجرافيا كمنهجية لبحوث التواصل الاجتماعى أمران أساسيان: الأول؛ أنها تدرس الكيانات الاجتماعية التى تقوم على التواصل الاجتماعى بين أعضائها والتى تعرف بمجتمعات الإنترنت، وثقافاتها والتى تعرف بثقافات مجتمعات الإنترنت، حيث يتحقق وجود هذه المجتمعات وثقافاتها على الإنترنت. الأمر الثانى أن منهجية النتنوجرافيا تعتمد على الإنترنت كلية فى جمع بياناتها؛ فبياناتها يتم جمعها عما يسمى العالم الافتراضى لا عن العالم الواقعى، وأن الأسلوب الأساسى والمعتمد فى جمع بياناتها هو أسلوب الملاحظة بالمشاركة.

ومن هنا فإن البحوث التى تدرس التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت، معتمدة فى جمع بياناتها على المسوح الاجتماعية، أو على استخدام الاستبار سواء الحر أو المقيد، أو على المناقشة الجماعية أو المجموعة البؤرية، أو غير ذلك من الأساليب، معتمدة فى اختيار أفراد عيناتها من المجتمع الواقعى، من المتعاملين مع مواقع التواصل الاجتماعى، لا يحق أن توصف بأنها بحوث نتنوجرافية، أو أنها تستخدم منهجية النتنوجرافيا، حيث تفتقر إلى الثوابت الأساسية للمدخل النتنوجرافى وهو؛ أن مصدر بياناته هو ما يسمى بالعالم الافتراضى أو بالتحديد عالم الإنترنت، لا العالم الواقعى أو العالم الحقيقى، وأن أسلوب الملاحظة بالمشاركة هو الأسلوب الأساسى لهذا المدخل.

ومع ذلك لا بد أن نشير إلى أن النتنوجرافيا وإن كانت تعتبر منهجية مكتملة ومكتفية بذاتها، إلا أن تعزيزها بأساليب بحثية أخرى- بجانب أسلوب الملاحظة بالمشاركة الذى يعد جوهر هذه المنهجية- سواء التى تعتمد فى جمع بياناتها على الإنترنت، أو التى تقوم بجمعها من الواقع الحقيقى، لمزيد من الفهم لظاهرة التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت، من شأنه أن يدعم من إمكانات النتنوجرافيا ومن ميزاتها من جهة، وأن يوسع من حدودها المنهجية، أو يتغلب على بعض أوجه القصور التى تنسب لها من جهة أخرى.

ثالثاً: النتنوجرافيا: إمكاناتها وحدودها المنهجية

صاحب طرح النتنوجرافيا كمنهجية للبحوث الاجتماعية التى تجرى فى العالم الافتراضى، وبالتحديد تلك البحوث التى تتناول مجتمعات الإنترنت والثقافات التى أطلق عليها الثقافات السيبرينية Cybercultures، وتلك التى تنسب إلى مجتمعات الإنترنت بالتحديد Internet Cultures، فضلا عن فضائيات التواصل الاجتماعى بعامة[٣٦]حرص من جانب العلماء والباحثين، من المهتمين بهذه المنهجية الحديثة، على رصد ومناقشة الإمكانات المنهجية للنتنوجرافيا، استنادا إلى مقارنتها بالمنهجيات الأخرى؛ الكمية منها بعامة والكيفية منها بخاصة، وبالتحديد بمنهجية الإثنوجرافيا التى اشتقت منها النتنوجرافيا، وأخذت منها الكثير من تقاليدها وتوجهاتها النظرية، واتبعت العديد من تقنياتها وإجراءاتها المنهجية، واستندت إلى معظم قواعدها ومبادئها الأخلاقية فى ممارساتها البحثية[٣٧].

يتبين لنا عند محاولة تحديد إمكانات وحدود النتنوجرافيا كمنهجية، أن هناك عاملين يتحكمان فى تحديد الميزات التى تتميز بها هذه المنهجية من جهة، وأوجه القصور أو محدوديتها المنهجية من جهة أخرى:

الأول: هو الخاص بمجال ونطاق تطبيق منهجية النتنوجرافيا. فمجال تطبيق أو استخدام منهجية النتنوجرافيا، والتى أبدعت أو ابتكرت لتلائمه، هو العالم الافتراضى، أو عالم الإنترنت بالتحديد؛ بشاشاته، وشبكاته، ومنصاته، ومواقعه، ومجتمعاته وثقافاته، فالإنترنت هو المجال المحدد لنطاق إجراء البحوث التى توصف بأنها "بحوث نتنوجرافية"، ومن طبيعته وخصائصه، يتحدد جانب أساسى من إمكانات وحدود النتنوجرافيا.

الثانى: هو الخاص بجوهر منهجية النتنوجرافيا وخصائصها، فمنهجية النتنوجرافيا لها خصائص تتميز بها، أو تختلف فى شدتها أو فى مداها، عن خصائص المنهجيات الأخرى، الكمية منها والكيفية، هذه الخصائص المميزة لها ترجع

إلى أسلوب البحث الذى يمثل جوهر ولب منهجية النتنوجرافيا، وهو أسلوب الملاحظة القائم على المشاركة، والمعروف بأسلوب الملاحظة بالمشاركة، والذى باعتمادها أساسًا عليه، اكتسبت منه الجانب الأكبر من خصائصها، ومن ثم من إمكاناتها وحدودها المنهجية.

ونتناول فيما يأتى إمكانات منهجية النتنوجرافيا التى ترجع إلى كل من هذين العاملين؛ الإنترنت، وجوهر منهجية النتنوجرافيا.

١- الإنترنت: محدداً لإمكانات منهجية النتنوجرافيا

يميز النتنوجرافيا عن غيرها من المنهجيات البحثية الأخرى، أنها وضعت خصيصا لدراسة العالم الافتراضى، وبالتحديد عالم الإنترنت، حيث يتجسد العالم الافتراضى بمجتمعاته وثقافاته على شاشات الإنترنت، أو بقول أشمل وضعت النتنوجرافيا لدراسة "الحياة على الشاشة" (٣٨).

ومن خصائص هذا العالم الذى تجرى النتنوجرافيا بحوثها فى نطاقه، حصريًا، اكتسبت النتنوجرافيا ثلاث من أبرز إمكاناتها وخصائصها الإيجابية، والتى تعلى من شأنها، مقارنة بغيرها من المنهجيات البحثية، بكونها هى الأفضل، من منظور العناصر الثلاثة التى تؤثر عادة فى اختيارات وتفضيلات الباحث لموضوع بحثه ولمنهجيته وهى: الوقت، والجهد، والتكلفة المالية.

فاتباع منهجية النتنوجرافيا يستغرق وقتًا أقل بكثير من الوقت الذى يستغرقه اتباع العديد من المنهجيات الأخرى، والأخذ بمنهجية النتنوجرافيا يكاد تكون تكلفته المالية معدومة، والجهد المبذول فى تطبيقها، وبالذات فى العمل الميدانى، لا يكاد يذكر، مقارنة بنظيره فى المنهجيات الأخرى.

ومن ثم، فعند رصد هذا الجانب من إمكانات النتنوجرافيا، مقارنة بغيرها من المنهجيات الأخرى؛ الكمية والكيفية منها، فإن منهجية النتنوجرافيا تتميز عنها بكونها:

هى الأقل استهلاكًا للوقت، أى الأسرع إنجازًا للبحث، والأوفر تكلفة مالية، والأقل جهدًا مبذولًا[٣٩].

بالإضافة إلى هذه الإمكانات أو الخصائص المميزة لمنهجية النتنوجرافيا، والتى ترجع إلى أن المجال الحصرى الذى تجرى فيه بحوثها، والذى تجمع منه بياناتها، هو مجال الإنترنت، فإن هذا المجال نفسه بخصائصه، يتيح لها إمكانات وميزات أخرى بالنسبة للبيانات التى يتم جمعها، والاتصالات التى يتم رصدها، من حيث الوفرة والسهولة واليسر فى الحصول عليها، فضلًا عن ما تتميز به من تلقائية، ورصدها فى سياقاتها، وحال حدوثها[٤٠].

والإنترنت يتميز أيضا بأنه يتيح لمنهجية النتنوجرافيا إمكانية الوصول إلى فئات وجماعات فى المجتمع يصعب الوصول إليها، مثل الجماعات أو الفئات المهمشة أو المضطهدة، وتلك التى تخشى التعبير عن رأيها وجهًا لوجه، أو الكشف عن هويتها لسبب أو لآخر، سواء أن ذلك قد يضعها تحت طائلة القانون، أو يجعلها تلقى استهجانًا أو رفضًا اجتماعيًا أو أخلاقيًا أو سياسيًا، فضلًا عن الجماعات أو الفئات التى يحول البعد المكانى دون الوصول إليها، فى حالة المنهجيات البحثية الأخرى[٤١].

بجانب هذه الميزات التى يتيحها استخدام الإنترنت مجالًا لإجراء البحوث الاجتماعية بعامة، والبحوث التى تستخدم منهجية النتنوجرافيا بخاصة، فإن طبيعة مجال أو بيئة الإنترنت، من حيث أنماط وخصائص ما يحتويه من جماعات أو مجتمعات وثقافات، تحدد أيضا إمكانات وحدود هذه المنهجية؛ من منهجية مكتملة وقائمة بذاتها وكافية فى حد ذاتها، إلى منهجية مكملة أو مساندة لمنهجيات بحثية أخرى، أو إلى كونها مجرد أداة استكشافية[٤٢].

لما كان محتوى الإنترنت، يتضمن المجتمعات التى نشأت ووجدت وتوجد على الإنترنت، نتيجة للاتصالات التى تحدث من خلال الإنترنت بواسطة الشبكات

الإلكترونية، التى من أجل دراستها وبحثها أبدعت منهجية النتنوجرافيا، كان من الطبيعى أن تحدد أنماط هذه المجتمعات إمكانات وحدود منهجية النتنوجرافيا فى بحثها.

فالنمط الأول من المجتمعات والثقافات، والتى يشملها محتوى الإنترنت، هو نمط المجتمعات التى سميت فى البداية بالمجتمعات الافتراضية Virtual Communities، ثم أصبحت تعرف بمجتمعات الإنترنتOnline Communities، كذلك نمط الثقافات التى سميت فى البداية بالثقافات السيبرينية Cyber cultures ثم أصبحت تعرف بثقافات الإنترنت Online Cultures، فهى مجتمعات وثقافات نشأت عبر الإنترنت(٤٣).

وقد حرص روبرت كوزينتس بوصف هذا النمط من المجتمعات والثقافات بأنها مجتمعات وثقافات "خالصة أو نقية Pure"، حيث توجد حصريا على الإنترنت، ولا يوجد لها وجود فيما يعرف بالحياة الحقيقية Real Life (RL)، فهى مجتمعات وثقافات تنشأ وتوجد فقط على الإنترنت، أو فيما يعرف بالحياة على الشاشة Life on the Screen، ومن ثم فهى مجتمعات افتراضية نقية أو خالصة Pure Virtual Communities، وثقافات سيبرينية نقية أو خالصة Pure Cybercultures (٤٤). وفى هذه الحالة توصف النتنوجرافيا بأنها نتنوجرافيا خالصة أو نقية(٤٥).

النمط الثانى من المجتمعات والثقافات التى يشملها أيضا محتوى الإنترنت هو نمط المجتمعات والثقافات التى وصفها روبرت كوزينتس بأنها مجتمعات افتراضية مشتقة Derived Virtual Communities، وثقافات سيبرينية مشتقة Derived Cyprtcultures، هذا النمط من المجتمعات ومن ثم الثقافات، هو الذى يكون وجوده فى العالم الافتراضى هو امتدادًا لوجوده فى العالم الحقيقى، فهى مجتمعات وثقافات وصفت بأنها "مشتقة" أو "مستمدة" حيث إن بعض المجتمعات التى لها وجودها فى العالم الحقيقى، رأت أنه نظرًا لتزايد المشاركة عبر الإنترنت، أن تمد كيانها إلى

الإنترنت لاكتساب المزيد من الأعضاء والخبرات، ومن ثم نشأ هذا النمط من المجتمعات وثقافاتها التى وجدت على الإنترنت، وجاء وصفها بأنها "مشتقة"، حيث ترجع أصولها وجذورها إلى مجتمعات، ومن ثم ثقافات/ لها وجودها فى العالم الحقيقى وفى الحياة الحقيقية(٤٦).

ونظرًا لطبيعة هذا النمط من المجتمعات والثقافات، فإن إمكانية النتنوجرافيا وميزتها كمنهجية قائمة بذاتها وكافية بمفردها لبحوثها، لا تعد قائمة أو متوافرة لها، حيث تعجز النتنوجرافيا عن دراسة أصول هذه المجتمعات والثقافات والتى توجد فى العالم الحقيقى، من منظور رؤية متكاملة، تدرك أن فهم هذا النمط من المجتمعات والثقافات التى توجد فى العالم الفتراضى، يستلزم دراسة أصولها وامتدادها فى العالم الحقيقى، وهو ما تعجز النتنوجرافيا عن دراسته، ومن هنا وصفت منهجية النتنوجرافيا فى هذه الحالة بأنها أداة منهجيةMethodological Tool مساعدة، أو بقول أدق هى منهجية معززة أو مكملة لمنهجيات بحثية أخرى تصلح لبحث أصول أو جذور هذه المجتمعات والثقافات فى العالم الحقيقى، الأمر الذى تعجز عنه منهجية النتنوجرافيا بمفردها، حيث يشكل مجال الإنترنت حدود ونطاق بحوثها(٤٧).

بجانب إمكانات النتنوجرافيا بالنسبة لدراسة هذين النمطين من مجتمعات وثقافات الإنترنت، فإن النتنوجرافيا ينظر إليها باعتبارها أداة استكشافية Exploratory Tool فى دراسة موضوعات عامة، سواء الخاصة بالآراء أو بالاتجاهات أو بالسلوك أو بقادة الرأى...، والتى يعد الإنترنت مصدرًا لبياناتها(٤٨).

وسواء وصفت النتنوجرافيا بأنها منهجية كاملة وكافية وقائمة بذاتها، لدراسة المجتمعات والثقافات التى يقتصر وجودها على الإنترنت والتى توصف بكونها مجتمعات وثقافات نقية أو خالصة، أو وصفت منهجية النتنوجرافيا بأنها منهجية مكملة أو مساندة أو معززة لمنهجيات بحثية أخرى فى دراستها لمجتمعات وثقافات توجد على الإنترنت ولكن تمتد أصولها وجذورها إلى مجتمعات وثقافات توجد فى

العالم الحقيقى، ومن ثم توصف بأنها مجتمعات وثقافات مشتقة، أو وصفت النتنوجرافيا بأنها مجرد أداة منهجية استكشافية لدراسة موضوعات عامة من خلال الإنترنت، تظل أهمية وقيمة منهجية النتنوجرافيا متجسدة فى أنها هى المنهجية التى تنفرد بدراسة مجتمعات وثقافات الإنترنت فى فضائيات التواصل الاجتماعى، دراسة شاملة ومتعمقة يتيحها لها كون أسلوب الملاحظة بالمشاركة هو جوهر هذه المنهجية، والذى أكسبها شرعيتها ووضعها المتميز ضمن منهجيات البحوث الاجتماعية بعامة، والكيفية منها بخاصة.

٢- جوهر منهجية النتنوجرافيا: محدداً لإمكاناتها

إذا كان العامل الأول المحدد لإمكانات وميزات منهجية النتنوجرافيا، هو أن عالم الإنترنت هو مجال وحدود نطاق بحوثها، وبالتحديد ما ينشأ ويوجد به من مجتمعات لها كياناتها وثقافاتها، فإن وجوهر منهجية النتنوجرافيا الذى يقوم على أسلوب الملاحظة بالمشاركة بالتحديد، والذى تم تطويعه ليلائم دراسة عالم الإنترنت بمجتمعاته وثقافاته، يعد العامل الثانى المحدد لإمكانات وميزات النتنوجرافيا، والتى جاءت غالبيتها فى تحديد روبرت كوزينتس لخصائص منهجية النتنوجرافيا، والتى أوجزها فى خمس خصائص، حيث وصفها بأنها؛ طبيعية Naturalistic، ومتعمقة Immersive، ووصفية Descriptive، ومتعددة المناهج أو الأساليب Multi-Method، وقابلة للتكيف Adaptable[٤٩].

فمنهجية النتنوجرافيا تتميز بأنها "طبيعية"؛ حيث تتتبع التعبيرات الاجتماعية كما تظهر عبر الإنترنت مباشرة، وهى "وصفية"؛ حيث توفر الوصف الثرى والكثيف لمجتمعات الإنترنت وثقافاتها، فى الوقت ذاته هى "متعمقة"؛ حيث تأخذ الباحث إلى الفهم العميق، للواقع الثرى لحياة الأفراد على الإنترنت وشاشاته، التى يطلق عليها "الحياة على الشاشة"، ولمجتمعات الإنترنت وثقافاتها، ولعلاقات وآراء ورؤى واتجاهات وسلوك أعضائها... وما إلى ذلك من موضوعات نشأت وتنشأ عن التواصل

الاجتماعى والاتصالات التى يتوسطها الإنترنت، كذلك تتميز منهجية النتنوجرافيا "بالقدرة على التكيف" مع أشكال وصور ومصادر بياناتها؛ والقدرة على التنقل بسهولة بينها؛ بين النص المكتوب، والمصادر؛ المرسومة، والمصورة، والمسموعة، والمرئية(٥٠). وفى الوقت الذى توصف به منهجية النتنوجرافيا بأنها منهجية مكتملة وكافية فى حد ذاتها لدراسة نمط معين من المجتمعات التى توجد على الإنترنت(٥١)، إلا أنها تتميز بالقدرة على الاستفادة من أساليب منهجية أخرى- بجانب الأسلوب الأساسى الذى تقوم عليه هذه المنهجية وهو أسلوب الملاحظة بالمشاركة- لإثراء دراستها لهذه المجتمعات؛ مثل أساليب المقابلة أو الاستبار، والمناقشة الجماعية البؤرية، ودراسة الحالة، فضلا عن المسوح الاجتماعية، بحيث توصف النتنوجرافيا بأنها "متعددة المناهج" أو "متعددة الأساليب المنهجية"(٥٢).

وبهذا تتعدد وتتنوع إمكانات وميزات منهجية النتنوجرافيا التى ترجع أساسا إلى أن جوهر هذه المنهجية هو الاعتماد على أسلوب الملاحظة بالمشاركة، بكل ما يتميز به هذا الأسلوب فى مدخله وفى إجراءاته وخطواته المنهجية وتناوله لموضوع بحثه بعامة، من اتساع وشمول وعمق من جهة، والتوجه الإنسانى والتشاركى والشخصى والاجتماعى والعاطفى للباحث النتنوجرافى من جهة أخرى، سواء فى جمع بياناته أو فى تناولها بالدراسة والتحليل والفهم والتفسير، الأمر الذى أكد أن فعالية النتنوجرافيا كمنهجية كيفية، تكمن فى الحاجة إلى الحضور والتوجه الإنسانى والارتباطات والاتصالات الشخصية عبر الإنترنت(٥٣).

٣- حدود منهجية النتنوجرافيا

لعل أول حدود للنتنوجرافيا كمنهجية، هو أن مجال تطبيقها أو استخدامها محدود ومحدد تماما بالإنترنت، وبالتحديد بما يوجد عليه من مجتمعات وثقافات، وخاصة ما يعرف بمجتمعات الإنترنت وثقافات هذه المجتمعات، وما يطرح فيها من موضوعات وقضايا خلال الاتصالات والمناقشات فى فضائيات التواصل الاجتماعى، وهو أمر

طبيعى؛ حيث ابتكرت أو اشتقت منهجية النتنوجرافيا لتحقيق هذا الغرض، وقد جاء تعريف روبرت كوزينتس محددًا لذلك حيث عرفها بأنها "منهجية حديثة للبحث الكيفى، التى طوعت تقنيات البحث الإثنوجرافى لدراسة الثقافات والمجتمعات التى انبثقت من خلال الشبكات الإلكترونية"(٥٤).

ومن ثم فإن منهجية النتنوجرافيا لا تصلح للتطبيق على المجتمعات والثقافات التى توجد فى العالم الحقيقى، الأمر الذى دفع البعض إلى أن يعيب على النتنوجرافيا عجزها عن دراسة الخبرة الإنسانية فى صورتها المتكاملة، أى كما تتبدى فى العالم الحقيقى والعالم الافتراضى معا(٥٥)، غير مدركين أن تفرد النتنوجرافيا بالقدرة على دراسة مجتمعات وثقافات الإنترنت دراسة متعمقة وشاملة، فى الوقت ذاته قدرتها على التكيف والتكامل مع المنهجيات الأخرى الملائمة لدراسة العالم الحقيقى، يعد من الجوانب الإيجابية لمنهجية النتنوجرافيا.

لعل أهم أوجه القصور فى منهجية النتنوجرافيا، يرجع إلى أن البحوث النتنوجرافية تعتمد كلية فى الحصول على بياناتها على الإنترنت أو عبر الإنترنت، وليس التعامل وجها لوجه مع مصادر هذه البيانات، هنا يشير البعض إلى احتمال عدم صدق البيانات أو تزييفها، حيث إن هوية الأفراد مصدر هذه البيانات؛ سواء مشاركينParticipants، أو إخباريين Informants، عادة غير معروفة، ولا توجد وسيلة للتأكد من الصدق أو الثقة والأمانة فى ما يدلون به من بيانات أو معلومات، أو المحاسبة على ما يصدر عنهم من معلومات أو بيانات غير صادقة أو زائفة، فضلا عن ذلك فإن الإنترنت يحول بين الباحث النتنوجرافى، وبين ملاحظة لغة الجسد، وغيرها من إمكانات الملاحظة، والاستبار وجها لوجه، التى تساعده على استشفاف مدى المصداقية فى هذه البيانات، فضلا عن ذلك فإن عدم معرفة هوية المشاركين أيضا وخصائصهم الديموجرافية الاجتماعية، يمثل عائقًا أمام الباحث النتنوجرافى، فى كثير من الأحيان، فى فهم وتحليل البيانات فى علاقتها بهذه الخصائص(٥٦).

لعل من أهم أوجه القصور التى تنسب خطأً إلى منهجية النتنوجرافيا، ترجع إلى إساءة استخدام هذه المنهجية من جانب بعض الباحثين، والتى شجع عليها ما تتميز به هذه المنهجية من الحصول على بيانات البحث عن طريق الإنترنت، ومن ثم السهولة والسرعة وانعدام التكلفة المالية للحصول على بيانات البحث، هذا النمط من الباحثين يكتفى عادة بعدد محدود للغاية من مجتمعات الإنترنت فى بحثه، بل ربما اختيار مجموعات لا يتوافر فيها أصلا خصائص مجتمع الإنترنت محل الدراسة، وقبل هذا أو ذاك، عدم الالتزام بالخطوات وبالقواعد المنهجية التى حددت لإجراء البحث النتنوجرافى، وعادة ما يكتفى هؤلاء بأسلوب الملاحظة المحضة– دون اتباع أسلوب الملاحظة بالمشاركة الذى يعد جوهر منهجية النتنوجرافيا– وبعدد محدود من المجموعات، ولفترة زمنية قصيرة، ثم يدعى هؤلاء الباحثون أنهم أجروا بحثًا نتنوجرافيًا لمجتمعات الإنترنت، وفى مدة زمنية قد لا تتجاوز الأسبوع أو الأسبوعين(٥٧).

وقد أدرك العلماء والباحثون حدود النتنوجرافيا التى ترجع إلى منهجية النتنوجرافيا ذاتها، وتلك التى ترجع إلى إساءة استخدام هذه المنهجية.

ففى إطار الوعى بحدود هذه المنهجية، حذر هؤلاء العلماء والباحثون من تعميم النتائج التى بنيت على بحث نتنوجرافى يتناول مجتمعات الإنترنت على المجتمع الكلى الحقيقى والافتراضى معًا، دون إدراك للخصوصية الاجتماعية Social Specificity لنمط الأشخاص الذين يستخدمون مصادر الإنترنت أو المنتمين لمجتمعات الإنترنت التى تم بحثها(٥٨).

فمنهجية النتنوجرافيا، كأى منهجية أخرى للبحوث الكيفية، حدودها المنهجية معروفة، بالنسبة لإمكانية تعميم النتائج. فنتائج البحث الكيفى عادة تكون قاصرة على عينة البحث، ولا يتم تعميمها إلا فى حدود المجتمع الأصلى الذى اختيرت منه، شريطة اتباع الأساليب العلمية السليمة فى اختيارها. ومناهج البحوث الكيفية عادة لا تهتم بالتعميم فى مقابل ما يتيحه الاختيار العمدى لعدد محدود من المجتمعات أو

الأفراد، والتى يتبع فى بحثها الأساليب الكيفية المتعمقة، من الوصول إلى رؤية شاملة وفهم عميق ودقيق، فضلا عن الاستبصارات الثقافية التى تساعد على التأويل والتفسير السليم للظاهرة أو الموضوع محل البحث. والنتنوجرافيا كمنهجية كيفية، تلجأ غالبًا إلى العينات العمدية أو العينات الغرضية Purposive Samples، مع الحرص على تعدد وتنوع مجتمعات الإنترنت التى تشملها عينة البحث، وامتداد الفترة الزمنية فى تتبعها، ولا تلجأ بأى حال من الأحوال إلى تعميم ما توصلت إليه من نتائج على نظيرتها فى المجتمع الحقيقى، فنتائجها محدودة بما درسته من مجتمعات الإنترنت(٥٩).

ونتيجة للحدود المنهجية للنتنوجرافيا، والتشكيك فى الثقة فيما تتوصل إليه من نتائج، نظرًا لطبيعة مصادر بياناتها من جهة، وإساءة بعض الباحثين لهذه المنهجية من جهة أخرى، كان لا بد من طرح الحلول، وتحديد الإجراءات والتقنيات المنهجية، التى من شأنها أن تعزز منهجية النتنوجرافيا، وتحد من إساءة استخدامها، بدءًا من التحديد الواضح للخطوات المنهجية للنتنوجرافيا، وحتمية الالتزام بها(٦٠)، مرورًا بالإسهاب فى توضيح أهم القواعد والتقنيات المنهجية التى على الباحث النتنوجرافى مراعاتها؛ متمثلة فى حسن اختيار مجتمعات الإنترنت وفضائيات التواصل الاجتماعى، والحرص على الانغماس والتعمق فى مجتمع البحث، بالملاحظة بالمشاركة، بحيث يتمثل الباحث ثقافة هذا المجتمع، ويصبح معروفًا كأحد أعضائه، وانتهاءً بالتوجيه إلى استخدام تقنيات جيدة للاستبار، واستمرارية المناقشات والتواصل مع المشاركين والإخباريين لكسب ثقتهم، ومن ثم الاطمئنان إلى ما يدلون به من بيانات ومعلومات(٦١)، ومن هنا جاءت أيضا النظرة إلى دور الباحث باعتباره جزءًا أساسيًا أو"أداة أساسية للبحث النتنوجرافى "The Researcher as Instrument"، وجاء التأكيد بأن فعالية النتنوجرافيا كمنهجية كيفية، تعتمد على الوجود الإنسانى وعلى الاتصالات الشخصية عبر الإنترنت، وأن "العنصر الأساسى الذى لا يجب إغفاله فى

البحث النتنوجرافى، الذى يستخدم الوظيفة الاتصالية وللتواصل الاجتماعى وللإنترنت، هو الجانب التشاركى والتأملى والتفاعلى والإيجابى لبحثنا" [٦٢].

لم يقف العلماء والباحثون من المهتمين بالارتقاء بمنهجية النتنوجرافيا وإرساء دعائمها، عند تأكيد هذه الأبعاد والجوانب المنهجية، وإنما جاء الحرص من جانبهم على وضع معايير لتقييم البحوث النتنوجرافية ليدعم هذا التوجه وليعززه[٦٣].

خـــاتمـــة

فى ظل الاتجاه المتنامى للبحوث الاجتماعية الذى يواكب الانتشار المتسارع لظاهرة التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت، جاءت هذه الورقة العلمية لإلقاء الضوء على النتنوجرافيا كمنهجية حديثة نسبيًا، وضعت خصيصًا لدراسة مجتمعات الإنترنت وثقافاتها، متخذة من أسلوب الملاحظة بالمشاركة أسلوبها البحثى، أو أسلوبًا للبحث ولا تقتصر على استخدام أسلوب الملاحظة، إلا فى حالة استحالة استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة، لأسباب قانونية أو لأسباب أخلاقية تحول دون مشاركة الباحث فى هذه المجتمعات لدراستها، كما هو الحال بالنسبة لجماعات الإنترنت التى تروج لأفكار أو لآراء تحض على الإرهاب، أو على أفعال غير قانونية أو غير أخلاقية أو المرفوضة اجتماعيًا بعامة، وقد ترجع أيضًا أسباب عدم استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة فى دراسة مجتمعات الإنترنت إلى أسباب تتعلق بأخلاقيات البحث العلمى الاجتماعى، وبالتحديد لعدم حصول الباحث على موافقة مجتمع البحث، وفقًا للقاعدة الأخلاقية التى تستلزم ذلك، والمعروفة بالموافقة المبنية على المعرفة، هنا يثار تساؤل له بعده الأخلاقى؛ وهو إذا كان الباحث فى هذه الحالة يلجأ إلى استخدام أسلوب الملاحظة المحضة، فهل هو يخرق هذه القاعدة الأخلاقية، وبهذا ينتقل من دور الباحث إلى دور "المتلصص" كما يذهب البعض؟

هذا التساؤل، وغيره من التساؤلات التى تثيرها البحوث الاجتماعية فى مجال التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت، والتى لها أبعادها الأخلاقية، والذى نؤكده دائما

بتوضيح أن مناهج البحث العلمى الاجتماعى وأخلاقيات البحث العلمى الاجتماعى، هما قضيتان مرتبطتان تمامًا، بل هما وجهان لعملة واحدة يستحيل، بل يتعذر، فصلهما عن بعضهما، فهما يتكاملان معًا فى توجيه وتقييم وتقويم البحث العلمى الاجتماعى[٦٤]، بل وفى إكسابه وضعه وشرعيته فى مجال البحث العلمى بعامة، الأمر الذى يستلزم تخصيص ورقة علمية، مكملة لهذه الورقة لطرح ومناقشة أخلاقيات البحث العلمى فى مجال بحوث التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت.

المراجع والهوامش

١- ناهد صالح، التواصل الاجتماعى والبحوث الاجتماعية، منهجية النتنوجرافيا "البدايات"، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد٥٦، العدد ٣، ٢٠١٩.

٢- Wikipedia,Web2, 2018 pp.1-4.

https://en.m. Wikipedia. org/ wiki/ web-20.

Chouldhury, Nupur, World Wide Web and its Journey from Web 1.0 to Web 4. (Igcsit),Uoi.5, No 6, 2014, pp.1-2.
www.igcsit.com.

٣- Kozinets Robert V., Netnography:Doing Ethnographic Research Online, London: sage, 2009, pp.8-9.

https//www..researchgate.net…/264922181-Netnography-Doing-Ethnographic-Research- Online. Pdf.

٤- Kozinets, Robert V., On Netnography: Initial Reflections on Consumer Research of Cyber Culture, 1988, p.1.

Kozinets, Robert V., The Field Behind The Screen: Using Netnography for Marketing Research in Online Communities, 2002, p.1.
http//www.nyu.edu/classes/bkg/methods/netnography.

٥- Wikipedia, op. cit. 2018, p.4.

٦- لمزيد من التفصيل، انظر الجزء الخاص بالنتنوجرافيا والإثنوجرافيا: أوجه التشابه والاختلاف. فى ناهد صالح، مرجع سبق ذكره. ٢٠١٩، ص ص ٢٠-٢٧.

٧- كان أول طرح لمصطلح النتنوجرافيا Netnography فى عام ١٩٩٥، حيث ذكر كوزينتس أنه فى هذا العام بدأ فى طرح هذه المنهجية، كمنهجية لبحوث التسويق المبنية على استخدام الإنترنت، انظر:

Kozinets, Robert V., Netnography: The Marketer's Secret Weapon: How Social Media Understanding Drives Innovation, 2010, p.3.

http//www.ethnographiadigital.it./wp-cantent/…net. Base. Netnographg-Kozinets-paper. pdf.

٨- Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., Netnography: Range of Practices, Misperceptions, and Missed Opportunities, (IJQM), 2017, p.2.

http://Journals.Sag pub.Com/doi/rull/10/1177/160917700644.

٩- Switha, N., and MsDivya, U., Netnography-A Very Near But Yet So Far Tool for Researchers, 2018, p.10.

www.ijbmi.org//vol.4 Issue g vert//September 248.

١٠- Kozinets, Robert V., op. cit. 2010, p.4.

١١- Costello, L., McDermott, M., and Wallace R., op.cit., p.3.

وإن كان البعض يرى وضع تحليل مضمون التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت، بين الإثنوجرافيا وتحليل الخطاب وتحليل المضمون كما يستخدم فى بحوث الاتصال الجماهيرى، انظر: Beckmann, S.C., and Langer, R., Netnography: Rich Insights from Online Research, 2005, p.2.

http://frontpage. cbs.dk/ insights/ 670005. Shtml.

Switha, N., and MsDivya, U., op.cit., p.9.

١٢- Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op. cit., p. 6., p. 13.

١٣- Ibid., p.6.

Switha, N., and MsDvya, U., op. cit., p.10

١٤- منذ الكتابات الأولى فى تحديد منهجية النتنوجرافيا، نص على أن أسلوب الملاحظة بالمشاركة بمفرداته هو جوهر العمل الميدانى للبحث النتنوجرافى، وحيث يعترف بالباحث كأحد أعضاء المجتمع أو الثقافة محل دراسته، انظر:

Kozinets, Robert V., op. cit., 1998, p.2.

١٥- Costello, L., McDermett, M., and Wallace, R .,op. cit., p. 2, p. 14, p. 19.

١٦- Ibid., p.13.

١٧- Kozinets, Robert V., Netnography Analysis: Understanding Culture Through Social Media Data. In Uwe Filch (ed.), Sage Handbook of Qualitative Data Analysis, London: Sage, 2014, p. 266.

https://www.Researchgate.Net/publication,319472120.Netnographic- Analysis-U-Understanding.Culture- through- Social- Media- Data.

١٨- Kozinets, Robert V., op. cit, 2002, p. 1.

أشار كوزينتس إلى هذه الخطوات المنهجية الست فى عام ٢٠٠٢ فى تحديده للخطوات التى من شأنها أن تساعد على تحديد أسلوب الملاحظة بالمشاركة الذى يتبعه الباحث النتنوجرافى، انظر:

Kozinets, Robert V., op. cit., 2002, p. 4.

وفى عام ٢٠١٥، فى الطبعة الثانية من كتاب Netnographgy Redefined، ذكر الخطوات المنهجية للنتنوجرافيا فى ١٢ خطوة، حيث تناولت أهم الجوانب المنهجية للخطوات الست الأساسية، انظر:

Kozinets, Robert V., Netnography Redefined. London: Sage, p. 19.

https//Uksagepub.Com/sites/default/files,upm-binaries/96762-Netnography.Pdf.

١٩- Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, p.265.

٢٠- Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.5.
Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, pp. 265-266

٢١- lbid., p.265.

فى بدايـة كتابـات كوزينتس عـن منهجيـة النتنوجرافيا سمى هذه المرحلـة Cultural Entrte، ثم لم يلبث أن استبـدل هذا المصطلـح بمصطلح الدخـول الثقافى Cultural Entrée انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.3.

٢٢- فى بدايات تحديد معالم منهجية النتنوجرافيا، وفى عام ٢٠٠٢، أشار كوزينتس إلى أنه يمكن تطبيق منهجية النتنوجرافيا بالاكتفاء بهذه الخطوة، فالنتنوجرافيا يمكن إجراؤها باستخدام الملاحظة فقط وإنزال البيانات، ودون كتابة أى ملاحظة ميدانية "Field note" إلا أنه تم العدول عن هذا الموقف فيما بعد، انظر:

Kozinets, Rohert V., 2002, p.4, p.6.
Kozinets, Robert V., 2014, p.266.

٢٣- Vasquez, Camilla and kulavuz Onal, Derya. Netnography: Doing Ethnographic Research Online by Kozinets, Robert V., 2012. p.2.
http:// Onlinelibrarg.Com/doi/10.111.1540-4781.0212. 7319.X/ Full.

من أهم ما أشارت إليه كاميلا فاسكوز فى عرضها لكتاب كوزينتس هذا، أنه أغفل بيان الخطوة المنهجية التى توضح كيفية خروج الباحث النتنوجرافى من مجتمع الإنترنت بعد الانتهاء من دراسته، حيث الوضع يختلف عنه فى حالة البحث الإثنوجرافى.

٢٤- Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, p.66.

٢٥- Loc. Cit.

٢٦- Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, pp.266-268.

٢٧- Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.5. Koziners, Robert V., op.cit., 2014, pp.266-267.

٢٨- Ibid., p. 266.

فى بداية منهجية النتنوجرافيا أطلق كوزينتس على هذا النمط من الاستبار مصطلح الاستبار السيبرانى Cyber- Interview، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, pp13-14.

٢٩- Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, pp.4-8.

٣٠- Loc.Cit.

٣١- مصطلح المشاركين participants هو المصطلح العلمى للدلالة على الأفراد الذين تشملهم عينة البحث الكيفى، ولهذا المصطلح دلالته، حيث ينظر إلى البحث كعمل "تشاركى" بين الباحث وهؤلاء الأشخاص الذين هم مصدر بياناته، وليس كعمل انفرادى للباحث، فى حين يطلق على هؤلاء مصطلح Respondents، حيث يقتصر دورهم فى البحث الكمى على "الاستجابة" للأسئلة التى يطرحها الباحث.

٣٢- Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op.cit., 2017, pp. 16-17.

Kozinets, Robert, V., op.cit., 2002, p.8

٣٣- ونظرا لأهمية البعد الأخلاقى فى منهجية النتنوجرافيا، حرص كوزينتس منذ البدايات الأولى لطرح هذه المنهجية، على الاهتمام بالقواعد الأخلاقية التى يجب مراعاتها والالتزام بها فى البحث النتنوجرافى، والتى شخصها فى أربع قواعد. انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.9.

٣٤- فى الكتابات العلمية التى تناولت منهجية النتنوجرافيا، تعددت المصطلحات التى تناولت هذه المنهجية، حيث وصفت بأنها: منهج Method، أو أسلوب منهجى أو تقنية Technique، أو أدة Tool، أو مدخل Approach، ومصطلح مدخل هو الأدق، ويميز حاليًا البعض بين أربعة مداخل لمنهجية النتنوجرافيا هى: المدخل الرمزى Symbolic، والمدخل الرقمى Digital، والمدخل الذاتى Auto، والمدخل الإنسانى Humanist. لمزيد من التفصيل انظر: الفصل الرابع عشر فى:

Kozinets, Robert V., Netnography: Redefined, London, Sage, 2015.

٣٥- منذ بدايات طرح منهجية النتنوجرافيا، فى النصف الثانى من تسعينيات القرن العشرين، أشير إلى إمكانية استعانة النتنوجرافيا بأساليب بحثية أخرى بجانب أسلوب الملاحظة بالمشاركة، كأساليب معززة أو مساعدة أو ملحقة، ورغم ذلك فإن منهجية النتنوجرافيا تعد منهجية قائمة بمفردها Stand Alone Methodology، ومنهجية كافية ومكتفية بذاتها.

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, pp.7-8.

Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op.cit., pp.17-18.

٣٦- فى الكتابات العلمية المبكرة، التى حددت مجال منهجية النتنوجرافيا، كان يستخدم مصطلح "الثقافة السيبيرنية" ومصطلح "المجتمع الافتراضى"، ثم استبدلا بمصطلح ثقافة الإنترنت، ومجتمع الإنترنت، فالإنترنت هو مصدر نشأتهما ومكان وجودهما وتواجدهما، والنتنوجرافيا تتجه أساسًا إلى دراسة مجتمعات الإنترنت وثقافاتها، والتى حرص العلماء على تحديد خصائصها المميزة لها عن خصائص التجمعات الاجتماعية الأخرى على الإنترنت، والتى لا تختص النتنوجرافيا أساسا بدراستها.

٣٧- Kozinets, Robert V., op. cit., 2002, pp. 2-3.
حيث ذكر كوزينتس فى بداية تناوله لأصول النتنوجرافيا، أن"النتنوجرافيا" أو الأثنوجرافيا على الإنترنت، هى منهجية حديثة للبحث الكيفى، التى طوعت تقنيات البحث الإثنوجرافى لدراسة الثقافات والمجتمعات التى تنبثق من خلال الاتصالات التى يتوسطها الحاسب الآلى.

٣٨- منذ بداية طرح منهجية النتنوجرافيا، كان هناك حرص على تحديد مجال ونطاق بحوثها بأنه "الحياة على الشاشة"، حددت فى البداية بشاشة الحاسب الآلى، ثم استبدلت بالشاشات الإلكترونية، حيث لم يعد الإنترنت قاصرا على أجهزة الحاسب الآلى. كما كان هناك حرص أيضًا على تحديد الأنماط الثلاثة للدراسات التى يستفاد من منهجية النتنوجرافيا فى دراستها انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.5.

٣٩- Costello, L., McDormett, M., and Wallace, R., op. cit., p .6.

٤٠- لمزيد من التفصيل عن الاختلافات بين منهجية النتنوجرافيا والأساليب البحثية الأخرى، التى ترجع إلى أن مصدر بيانات النتنوجرافيا هو الإنترنت، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, pp.2-3.
Kozinets, Robert V., op.cit., 2010, p.2.

٤١- Beckmann , S.C and langer, R., op. cit., p.3.

٤٢- Kozinets, Robert V., op.cit., 2010, p.2.

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.5.

٤٣- Ibid., p.7

٤٤- Loc. Cit.

٤٥- Swetha, N., and MsDivya, U., op.cit., p.9.

٤٦- Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, p.5. p.8.

٤٧- Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.8.

٤٨ - Ibid. p 5.

٤٩- Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.4.

٥٠- Loc.cit.

٥١- Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.7.

٥٢- Kozinets, Robert V., op.cit., 2010, p.4.

٥٣- Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op.cit., p.2.

٥٤- Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.2.

٥٥- لا يمكن الفصل كلية بين العالم الحقيقى والعالم الافتراضى فى البحوث النتنوجرافية، إذ أن أعضاء مجتمعات الإنترنت يحملون إلى هذه المجتمعات أوضاعهم وثقافاتهم ورؤاهم وقيمهم واتجاهاتهم وآرائهم، والتى تنعكس بالضرورة على مناقشاتهم وتواصلهم عبر منصات ومواقع التواصل الاجتماعى.

٥٦- منذ بداية النتنوجرافيا، يفضل استخدام مصطلح الجدارة بالثقة Trustworthiness عن استخدام مصطلح المصداقية Validity انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.7.

بالإضافة إلى ذلك فقد وصفت نتائج البحوث النتنوجرافية، فى مقارنتها بنتائج البحوث التى تستخدم منهجيات بحثية أخرى، بأنها تفضلها من حيث الثقة بها. انظر:

Switha, N. and MsDivya, U., op.cit., p.10.

٥٧- أيضًا منذ بداية طرح منهجية النتنوجرافيا، تم التحذير من هذا النمط من البحوث التى تدعى استخدام منهجية النتنوجرافيا، والتى لا يتبع فيها القواعد والخطوات المنهجية للبحث النتنوجرافى، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, pp.8-9.

ولا يزال الاهتمام بموضوع إدعاء بعض البحوث بأنها تستخدم منهجية النتنوجرافيا، أو بأنها بحوث نتنوجرافية قائمًا، انظر:

Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op. cit., p.2.

٥٨- Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, pp.9-10.

٥٩- Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, pp.7-8.

٦٠- يرجع الفضل إلى كوزينتس فى وضع الخطوات المنهجية للنتنوجرافيا التى حددها بست خطوات فى عام ٢٠٠٢، ثم لم يلبث فى عام ٢٠١٥ أن عززها، حيث أورد اثنتى عشرة عملية منهجية، والتى على الباحث النتنوجرافى مراعاتها، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.4.
Wikipedia Netnography.op.cit., 2017, pp.6-7.

٦١- Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.4, p12. pp.16-17.

٦٢- Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op. cit., p.19.

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.4., p.17.

٦٣- على سبيل المثال اهتم كوزينتس بوضع عشرة معايير يتم بمقتضاها الحكم على جودة التحليل النتنوجرافى، هذا التحليل الذى من شأنه الحفاظ على النوعية الثقافية لظاهرة التواصل الاجتماعى؛ من خلال مراعاة الباحث لدوره ولذكائه الاجتماعى، طوال عملية البحث العلمى الاجتماعى عبر الإنترنت، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, pp.244-275.

٦٤- ناهد صالح، مرجع سبق ذكره، ص١.